الباب الثانى

الصحافة المصرية

وقضايا العشرينات والثلاثينات

على الساحة الفلسطينية

الفصل الثالث

النشاط الصهيوني في فلسطين في العشرينيات والثلاثينات

تشترك الصحف المصرية في الاهتمام بهذا الجانب، ولكن تختلف زاوية الاهتمام وحجمه.. وتعتبر البلاغ أكثر الصحف المصرية اهتماماً بهذا الجانب في فترة العشرينات. وقد تركز على فشل الصهيونية في فلسطين والتشكيك في نجاحها والتنبيه إلى كذبل دعايتها[١].

كما اهتمت البلاغ بإبراز نشاط الوكالة اليهودية والنشاط الصهيوني في الميادين الاقتصادية[٢]، وكان اهتمامها بمتابعة النشاط الصهيوني لا يقتصر على رصد هذا النشاط والتعليق عليه داخل فلسطين فحسب، بل تابعت النشاط الصهيوني العالمي وخاصة المؤتمرات الصهيونية. وقد اتخذ اهتمامها في أغلبة شكل مقالات وتعليقات وأحياناً أخبار. وكانت تحاول دائماً إبراز العلاقة بين المؤتمرات الصهيونية واستعمار فلسطين[٣]. ورغم أن البلاغ لم تهتم بمسألة الهجرة اليهودية خلال العشرينات إلا نادراً غير أن اهتمامها بدأ يتدفق ابتداء من مايو ١٩٣٠، وتصاعد أثناء الثلاثينات بشكل واضح. وقد ركزت البلاغ بشكل خاص على ضرورة وقف الهجرة وتقييدها. وأشارت إلى تهريب اليهود إلى فلسطين والعصابات اليهودية التي تقوم بتزوير شهادات الهجرة ومراكز هذه العمليات في أوروبا والعالم الغربي[٤].

وقد انفردت البلاغ بعدة مقالات عالجت فيها موقف اليهود من المجلس التشريعي والقرارات التي اتخذها مؤتمرات صهيونيي انجلترا التي انصبت جميعها على الاعتراض على تشكيل المجلس التشريعي في ظل عدم الاتفاق بين العرب واليهود مما يضر كثيراً بالوطن القومي[٥]. وقد عالجت البلاغ أيضاً الانقسامات داخل الحركة الصهيونية وحرصت على إبراز آثارها على فلسطين. وكذلك أشارت إلى قضية تسليح اليهود ومصادر هذه الأسلحة، ووسائل تهريبها إلى فلسطين ودور الحركة الفلسطينية

في مراقبة وضبط هذه الأسلحة. أما قضية بيع الأراضي فقد كانت البلاغ أكثر الصحف المصرية اهتماماً ومتابعة لهذا الجانب، وقد طالبت بإنشاء شركة لإنقاذ الأراضي. كما كشفت عن موقف الأمير عبدالله وتأجير أراضيه لليهود، ونشرت تحقيقات كاملة عن مأساة عرب الحوارث.

أما الأهرام فقد اهتمت بمتابعة النشاط الصهيانية في فلسطين من الناحية الخبرية، وكانت تركز على زيارات الزعماء الصهيونين لفلسطين. كما كانت تشير إلى مستقبل الوطن القومي في فلسطين وما يكتنفه من صعوبات. وقد بدأ اهتمامها بهذا الجانب منذ عام ١٩٢٤. وقد تابعت الأهرام أخبار المؤتمرات الصهيونية بانتظام منذ عام ١٩٢٧ وكانت أحياناً تنشر بعض التعليقات على هذه المؤتمرات[٦]. وكانت الأهرام الصحيفة المصرية الوحيدة التي تابعت الحياة اليومية لليهود في فلسطين ومشاكلهم واضراباتهم ونشاطاتهم المختلفة[٧]، وعلاقاتهم بالخارج. وقد عالجت الأهرام موضوع الهجرة اليهودية[٨] في فلسطين بغزارة ملحوظة. ولكن اقتصرت المتابعة على الجانب الخبري، كما اهتمت الأهرام بمتابعة تهريب الأسلحة إلى اليهود منذ عام ١٩٢٩[٩]، على عكس الصحف المصرية الأخرى التي لم تبد اهتماماً بهذه المسألة إلا في الثلاثينات. وأبدت الأهرام اهتماماً غير عادي بقضية الشيوعية في فلسطين بدأ منذ يونيو ١٩٢٨. وكان اهتمامها ينصب على إبراز العلاقة بين الشيوعية والتنظيمات الشعبية اليهودية والفلسطينية. وقد اتخذ هذا الاهتمام شكلاً خبرياً أيضاً. وقد تصاعد اهتمام الأهرام بمتابعة تطورات الهجرة اليهودية إلى فلسطين ابتداء من منتصف ١٩٣٠، وبلغ الذروة في عامي ١٩٣٣، ١٩٣٤ إذ كان لا يخلو الأهرام أسبوعياً من متابعة الموضوع عدة مرات على الأقل. واهتمت بالذات بموضوع تهريب اليهود إلى فلسطين كما ركزت على الاضطرابات التي وقعت في فلسطين من جراء الهجرة اليهودية[١٠].

وفيما يتعلق بمسألة بيع الأراضي كان اهتمام الأهرام خبرياً في معظمه، ولم تفصح الأهرام عن وجهة نظرها في هذه القضية الهامة. وإن لم يكن من العسير أن نستشف موقفها من خلال المتابعة الخبرية. فنلاحظ أن معظم الأخبار كانت تتعلق

بمشروعات اليهود لتحسين الأراضي والأسماء اليهودية التي أطلقت على المناطق العربية التي اشتراها اليهود، والمساومات التي تجري على بيع الأراضي، وإبراز رأي اليهود في تقرير المسترجون هوب سمبسون الذى طالب بالحد من الهجرة اليهودية وجعلها طبقاً لطاقة البلاد الاستيعابية بالفعل وليس بالقول فقط(١١).

أما "الاتحاد" فقد كان اهتمامها بمتابعة النشاط الصهيوني في فلسطين خلال العشرينات محدوداً، رغم أنه تدفق في الثلاثينات بشكل ملحوظ. وقد أنصب اهتمامها على الإشادة بالوطن القومي ومنجزات اليهود في فلسطين وإبراز أهمية وعد بلفور لمستقبل فلسطين الاقتصادي والعمراني(١٢). واتخذ هذا الاهتمام شكل مقالات. أما في الثلاثينات فقد تنوع اهتمام "الاتحاد" بالنشاط الصهيوني ولم يقتصر على استخدام المقالات فقط بل اتخذ في معظم الأحيان طابعاً خبرياً. وقد عالجت الاتحاد وسائل الهجرة الصهيونية وتسليح اليهود والمؤتمرات الصهيونية التي عقدت خلال الثلاثينات بإفاضة، وإن كان اهتمامها بموضوع تهريب اليهود إلى فلسطين والهجرة غير المشروعة(١٣). قد نال جزءاً أكبر من الاهتمام واستمرارية في المتابعة تفوق سائر جوانب النشاط الصهيوني في تلك الفترة(١٤). وقد التقت الاتحاد مع الصحف الصهيونية في مصر في الترويج للدعوة الخاصة باتفلاق العرب واليهود من أجل الوطن المشترك. وكانت هي الصحيفة المصرية الوحيدة التي تابعة هذه القضية وقد بدأت منذ نهاية العشرينات حتى منتصف الثلاثينات(١٥).

وفيما يتعلق بالمقطم فهي تتميز بأنها كانت تعرض وجهتي النظر العربية والصهيونية، من خلال كتابات القراء وكبار الكتاب من الفريقين. وهناك كثير من المساجلات في هذا الصدد، ولكن يلاحظ أن اليهود المصريين كانوا يتخذون من المقطم منبراً رئيسياً للدفاع عن الصهيونية. ولكن اهتمام المقطم بالنشاط الصهيوني في فلسطين خلال العشرينات كان ينصب معظمه على الدفاع عن الصهيونية والإشادة بالتحضر والعمران الذي أصاب فلسطين على أيدى الصهيونيين. وكان يروج لعقد مؤتمر اقتصادي أو سياسي مشترك بين العرب واليهود من أجل مستقبل فلسطين(١٦).

ونادراً ما كانت تلجأ المقطم إلى الاستعانة بالأخبار في متابعتها للنشاط الصهيوني. بل كانت تعتمد أساساً على المقالات وأحيانا التعليقات. وفي الثلاثينات لم يتغير أسلوب المقطم في إتاحة الفرصة للكتاب الموالين للفريقين العرب والصهيونين لإبداء وجهات نظرهم في هذا الجانب من جوانب القضية الفلسطينية، ولكن يلاحظ كثرة المقالات التي نشرت بأقلام كتاب يهود مصريين مثل د. هلال فارحي وسعد يعقوب المالكي وعزرا ليفي ودانيال ليفي. بعض هذه المقالات كانت تشكل جزءاً من معركة ثارت بين رجال الأكليروس. الذين كانوا يطالبون بمقاطعة اليهود مقاطعة تامة لأنهم يمتنعون عن تشغيل العرب. وهنا انبرى الكتاب اليهود للرد عليهم واستنكار دعوتهم والاستشهاد بمآثر اليهود على المسيحيين في العصور الغابرة[١٧]. وكذلك شغلت صفحات المقطم بعدة مقالات لإثبات أن اليهودية قومية وليست ديناً[١٨]. ومقالات أخرى ترى أن اليهودية دين وأمة وليست قومية[١٩]. ولم نلاحظ اهتمام المقطم بالقضايا السياسية التي دار حولها النشاط الصهيوني في فلسطين في الثلاثينات مثل قضايا الهجرة وشراء الأراضي وتسليح اليهود، وإن كانت قد تابعت المؤتمرات الصهيونية وكانت تركز على التصريحات التي يدلى بها زعماء الصهيونية لتحذير العرب وكانت تشير إلى التصريحات الاستفزازية[٢٠]. واهتمت المقطم بإبراز نوعية المهاجرين اليهود إلى فلسطين، مستهدفة التأكيد على أنهم لن يشكلوا عبئاً أو معوقاً للوجود العربي في فلسطين، بل سوف يساهمون في تطوير وتقدم البلاد[٢١].

وقد اهتمت المقطم بنشر مأساة إجلاء عرب الزبيدات عن أراضيهم والمعركة التي نشبت بينهم وبين اليهود والبوليس البريطاني واجلائهم بالقوة عن اراضيهم[٢٢]. وتشارك "السياسة" المقطم في تبنيها لوجهة النظر الموالية للصهيونية. وقد برز هذا الاهتمام في المقالات التي كتبتها عن الجامعة العبرية، وأشادت بالدور الحضاري الذي تقوم به في فلسطين. كما اهتمت "السياسة". بمتابعة المؤتمرات الصهيونية ودورها في اقامة الوطن القومي اليهودي وتبريرها للأسباب التي دفعت اليهود إلى البحث عن وطن. والاضطهادات التي لقيها اليهود في أوروبا وعلاقة ذلك بالهجرة اليهودية إلى فلسطين[٢٣]. وقد عالجت السياسة النشاط الصهيوني في الثلاثينات في سلسلة مقالات

كتبها محمد عبد الله عنان بعد زيارته لفلسطين تميزت باحتوائها على قدر كبير من المعلومات التاريخية. وقد تناولت المراحل التي مر بها وعد بلفور وما ترتب عليه من كوارث ومآس لا زال العرب في فلسطين يدفعون ثمنها باهظاً[٢٤]. كما عالجت السياسة قضية الهجرة اليهودية إلى فلسطين من زاوية تختلف عن الزوايا الأخرى التي عالجتها الصحف المصرية. فقد أبرزت علاقة الهجرة اليهودية بالأوضاع النازية في ألمانيا وكشفت عن تواطؤ بريطانيا مع السلطات الألمانية لتسهيل الهجرة إلى فلسطين[٢٥].

أما كوكب الشرق فقد تركز اهتمامها على المقالات التي تبرز خطورة الصهيونية على فلسطين بالإشارة إلى دسائس الصهيونية ضد العرب واجتماعات اليهود وأساليبهم من أجل السيطرة على فلسطين[٢٦]. كما كانت تشير إلى الخلافات والانقسامات بين الصهيونيين في فلسطين. وقد كانت كوكب الشرق أكثر الصحف المصرية اهتماماً بأخبار الهجرة اليهودية واهتمت بمتابعة أرقام المهاجرين اليهود إلى فلسطين، كما اهتمت بوسائل دخولهم إلى فلسطين[٢٧].

ولم يفتها إبراز العلاقة العضوية بين مسألتي الهجرة والأراضي. لذلك نلاحظ اهتمام كوكب الشرق بكشف أساليب الصهيونية في امتلاك أراضي فللاسطين والدور الذى تقوم به المنظمات الصهيونية لشراء الأراضي. وقد انفردت كوكب الشرق عن بقية الصحف المصرية بنشر عريضة الحزب العربي الفلسطيني التي رفعها إلى المندوب السامي وتناول فيها مشكلتي الهجرة وبيوع الأراضي أملاً في أن يتدخل المندوب السامي مدفوعاً بمبادئه الإنسانية من أجل وقف عملية البيوع والهجرة[٢٨]. واهتمت كوكب الشرق بنشر عدة فتاو بتجريم كل من يبيع أرضه، كما ركزت على دور السماسرة في بيع أراضي فلسطين[٢٩].

وقد لجأت كوكب الشرق في معالجة النشاط الصهيوني إلى المقال التحليلي. كما أنها لم تتجاهل الخبر وإن كانت أكثر الصحف المصرية استخداماً للنداءات والبيانات والمذكرات والعرائض.

أما صحيفة الشوري لسان حال الفلسطينيين في مصر فقد اهتمت بنشر تصريحات الزعماء الصهيونيين وتفنيدها والرد عليها[٣٠]. كما نشرت عدة مقالات هامة للأمير شكيب أرسلان عن الصهيونية تناول فيها الأسس التاريخية لنشأتها وخطورتها على مستقبل الوطن العربي. كما أبرز أن استمرارها في فلسطين مرهون بضعف الأمة العربية وبعجزها عن درء الخطر الصهيوني[٣١].

كما اهتمت الشوري بمتابعة أكاذيب الصهيونية وإفتراءاتها بإسناد تصريحات كاذبة إلى الزعماء العرب لخلق وقيعة بينهم وبين الحركة الوطنية الفلسطينية. كان محمد على الطاهر رئيس تحرير الشوري يهتم بملاحقة ادعاءات الصهيونيين وكشف ما تنطوي عليه من كذب وافتراء. وكانت المقالات هي المادة الأساسية التي اعتمدت عليها الشورى في معالجتها لمختلف جوانب القضية الفلسطينية.

وكان موقف صحيفة إسرائيل يتمركز حول الدفاع الدائم عن الوطن القومي اليهودي والصهيونية. ولم يقتصر دورها على خدمة الصهيونية من الناحية الدعائية فحسب بل كانت تتصدى دائماً للرد على الصحف المصرية الموالية للفلسطينين في مختلف القضايا[٣٢] التي أثيرت في العشرينات والثلاثينات بدءاً بقضية الهجرة وملكية حائط المبكي وانتهاء بقضية الشيوعية في فلسطين[٣٣] وكانتوتدفع تهمة الشيوعية عن الصهيونيين وذلك رداً على الصحف المصرية التي كانت تربط بين شيوعية والصهيونية في معظم الأحيان.

أما صحيفة الشمس فقد كان دورها مكملاً لصحيفة اسرائيل ولكن بأسلوب أكثر خبثاً ودهاء، فقد كانت تتظاهر دائماً بحرصها على علاقة العرب واليهود في فلسطين لمصلحة الطرفين. وكانت في ذات الوقت تبث سمومها بهدوء فهي لم تتخلف عن الدفاع بشكل مباشر وغير مباشر عن مصالح الصهيونية ودورها في بناء فلسطين[٣٤].

ويدور النشاط الصهيوني في فلسطين في العشرينيات والثلاثينات حول ثلاث قضايا رئيسية عالجتها الصحف المصرية من زوايا مختلفة وبمدى متفاوت من الاهتمام. هذه القضايا هي على التوالي:

١- الهجرة اليهودية.

٢- الجامعة العبرية وزيارة بلفور لفلسطين ١٩٢٥ بمناسبة افتتاحها.

٣- قضية الأراضي.

وسوف نتناول كلاً منها على حدة.

هوامش (النشاط الصهيونى فى فلسطين)

١- البلاغ ١٩٢٧/١/٩ تقرير الدكتور برغشت عن الصهيونية وعجزها عن حل مشكلة اليهود.

٢- البلاغ ١٩٢٣/٨/٢٢ مقال عن فشل الصهيونية في فلسطين.

٣- البلاغ ١٩٢٦/٤/١٩ فشل الصهيونية في فلسطين.

٤- البلاغ ١٩٢٩/٨/٢٥ مقررات المؤتمر الصهيوني .

٥- البلاغ ١٩٣٤/٥/٢٥، ١٩٣٤/١١/٢٠، ١٩٣٥/١/٤.

٦- انظر الاهرام ١٩٢٩/٨/١٢، ١٩٣١/٧/١٦، ١٩٣/٩/٢.

٧- انظر الاهرام ١٩٣١/٨/١٢، ١٩٣١/٧/٢٤، ١٩٣١/١٠/١٢، ٣٣/٨/٢٥.

٨- انظر الاهرام ١٩٣٤/٩/٣، ١٩٣٤/٥/٢٩، ١٩٣٤/٨/٢٦.

٩- الاهرام ١٩٣١/٧/٥، ١٩٣٤/١٢/٢.

١٠- الاهرام ١٩٣٤/٦/٣، ١٩٣٤/٥/٢٩، ٣٤/٨/٢٦، ١٩٣٤/١٢/٢.

١١- الاهرام ١٩٣٣/٥/١، ١٩٣١/١٢/٦، ١٩٣١/٥/٢٣، ١٩٣٤/٧/١٥.

١٢- الاتحاد ١٩٢٥/٥/١٧ الحركة الوطنية في فلسطين.

١٣- الاتحاد ١٩٣٥/٩/٨ خطبة وايزمان في المؤتمر الصهيوني.

١٤- الاتحاد ١٩٣٠/٣/٢٠، ١٩٣/١٢/٢٤، ٣٤/٨/٢١، ١٩٣٥/١٠/٢١.

١٥- الاتحاد ١٩٣٤/٨/٦، ١٩٣٤/٩/٢٢.

١٦- المقطم ١٩٢٣/٥/١٠ دفاع عن الصهيونية بقلم اسرائيل رئيب.

١٧- المقطم ١٩٢٣/٣/١٧ اليهود الوطنيون والصهيونية بقلم يوسف كاستل،

المقطم ١٩٢٩/٩/٢٨ الوطن القومي لليهود بقلم محمد على الطاهر.

١٨- المقطم ١٩٣٣/١٢/١٦، ١٩٣٣/١٢/٦.

١٩- المقطم ١٩٣٤/٣/٣٠ اليهود قومية بقلم سعد يعقوب المالكي.

٢٠- المقطم ١٩٣٤/٤/١١ اليهودية دين الله بقلم نقولا.

٢١- المقطم ١٩٣١/٧/١٤.

٢١- المقطم ١٩٣/٩/٢.

٢٢- المقطم ١٩٣٣/٩/٢.

٢٣- المقطم ١٩٣٥/٢/٨.

٢٤- السياسة ١٩٢٩/٨/١٦، ١٩٢٩/١٢/١٠.

٢٥- انظر اعداد السياسة من ١٩٣/١٠/٢٨ - ١٩٣/١١/٥.

٢٦- السياسة ١٩٣/١٠/٢٢.

٢٧- كوكب الشرق ١٩٣٠/٥/٢٠.

٢٨- كوكب الشرق ١٩٣٥/٣/١٩، ١٩٣٥/٤/١١، ١٩٣٥/٤/١٥.

٢٩- كوكب الشرق ١٩٣٥/١١/٨، ١٩٢٩/٦/١.

٣٠- الشوري ١٩٢٩/٦/١٣.

٣١- الشوري ١٩٢٩/٩/٣٠.

٣٢- إسرائيل ١٩٢٩/١٠/١٦، ٢٩/١١/٦.

٣٣- إسرائيل ١٩٣٠/٦/١٣، ١٩٣٤/١/٥.

٣٤- انظر أعداد الشمس ١٩٣٤، ١٩٣٥، ١٩٣٦.

أولاً: الهجرة اليهودية

اعتمد الغزو الصهيوني لفلسطين الذي بدأ في أواخر القرن التاسع عشر على العنصر البشري كأحد أركانه الأساسية. وقد تميزت السنوات الأولى من الثلاثينات بزيادة موجات الهجرة اليهودية بمعدلات كبيرة فاقت في عام ١٩٣٣ كل ما ذهب إلى البلاد في السنوات الست السابقة لذلك العام. ولا تخفي العلاقة الجدلية بين النشاط الوطني الفلسطيني وحركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين. فكلما زادت الأخيرة ترك ذلك انعكاسه الحاد على الحركة الوطنية الفلسطينية في شكل اضطرابات ومظاهرات واحتجاجات، والعكس صحيح تماماً. ودليل ذلك أن الهدوء النسبي الذى تميزت به الحركة الوطنية الفلسطينية بعد عام ١٩٢١ يرتبط إلى حد كبير بضعف معدلات الهجرة اليهودية في السنوات التالية. كما أن زيادة النشاط الوطني وتكثيف جهود الحركة الوطنية وتبلورها في سنة ١٩٣٣ والسنوات التالية لها كان مرتبطاً بازدياد الهجرة في تلك السنوات[١].

وقد تابعت الصحف المصرية قضية الهجرة اليهودية إلى فلسطين باعتبارها مؤشراً هاماً لنمو الوطن القومي اليهودي وذات صلة وثيقة بتصاعد الحركة الوطنية الفلسطينية. بالإضافة إلى دلالتها الواضحة على التحالف البريطاني الصهيوني ضد المصالح القومية لعرب فلسطين.

وتتباين اتجاهات الصحف المصرية ويتنوع اهتمامها بمسألة الهجرة وذلك طبقاً لمواقفها من القضية الفلسطينية ككل، فنلاحظ أن صحيفتي البلاغ وكوكب الشرق قد ركزتا على متابعة إعداد المهاجرين اليهود وإبراز ردود الفعل العربية إزاء تدفق الهجرة اليهودية إلى فلسطين مع عدم إغفالها لمواقف الأطراف الأخرى في الصراع وخصوصاً حكومة الانتداب والتيسيرات التي كانت تقدمها لحركة الهجرة اليهودية بالرغم من احتجاجات العرب المتواصلة وتوصيات لجان التحقيق المختلفة بضرورة تقييد الهجرة أو إيقافها.

وتنفرد كوكب الشرق بنشر إحصائية عن عدد المهاجرين اليهود خلال عامي ١٩٣٣، ١٩٣٤، وتذكر عدد المسلمين والمسيحيين الذين دخلوا فلسطين خلال نفس الفترة، وهدفها من ذلك إبراز الفرق الهائل بين أعداد هؤلاء وأعداد أولئك. ولا تعلق الصحيفة على الإحصائية بل تكتفي بذكر الأرقام وتترك للقارىء مهمة الاستنتاج وإدراك مدى الخطورة التي أصبحت تشكلها الهجرة اليهودية على سكان فلسطين ومصيرهم القومي.

تشير الإحصائية إلى أن عدد اليهود الذين دخلوا البلاد سنة ١٩٣٣ كانوا ٣٠٣٧ مهاجراً بينما بلغ عدد المسلمين والمسيحيين ١١٥٠ شخصاً، وفي سنة ١٩٣٤ زاد عدد المهاجرين اليهود حتى بلغ ٣٢٧٥٨ مهاجراً بينما لم يزد عدد المسلمين والمسيحيين عن ١٧٨٣ شخصاً[٢]. ونلاحظ أن عدد اليهود أصحاب رؤوس الأموال المهاجرين إلى فلسطين قد ازداد خلال السنوات الأولى من الثلاثينات وتفقوا على عدد المتدينين والأيتام الذين كانوا يفدون إلى فلسطين في موجات كبيرة خلال العشرينات. فقد بلغ عدد أصحاب رؤوس الأموال اليهود في سنة ١٩٣٣ – ٣٢٥٠ مهاجراً بينما دخل البلاد من الفئات الفقيرة المتدينة من نفس العام ٤٦٠ مهاجراً فقط . وفي سنة ١٩٣٤ زاد عدد الفئة الأولى وبلغ ٥١٢٥ مهاجراً ولم يزد عدد الفئة الثانية عن ٢١٠٠ شخص[٣].

وتفسر المقطم هذه الظاهرة بأن البلاد كانت في البداية مفتوحة في وجوه الفقراء وكانت الأموال ترد من الخارج لشراء الأراضي باسم الشعب اليهودي. ولكن الأزمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩-١٩٣١) أثرت بشكل حاسم في تحويل اتجاه الأموال اليهودية ، فبدلاً من منحها للحركة الصهيونية في فلسطين أصبحت تستثمر فيها.. أى أن باب الهجرة قد فتح في وجوه الطبقة المتوسطة بدلاً من الطبقة الفقيرة، وحل الرأسماليون اليهود محل الفقراء الذين كانوا يحتقرون المال والربح ويقنعون بالاشتراك في تعمير صهيون[٤]. ولذلك أصبح من النادر أن نسمع عن خريجي الجامعات في روسيا وبولندا ورومانيا يكسرون الحجارة لترميم الطرق أو يحلبون البقر. ولكن أصبح

من الشائع رؤية كثير من اليهود يبنون مصانع الأسنان الصناعية والصابون والثياب والمطابع وهى أعمال تعود بربح وفير على أصحابها[٥].

وهنا تشير المقطم إلى تحول أساسي في اتجاه الحركة الصهيونية. فقد كان الرواد الأوائل الذين وفدوا إلى فلسطين يتكونون من مجموعات من المثاليين المدفوعين بخليط من الأفكار الصهيونية والتصورات الدينية وتحقيق الحلم اليهودي الأزلي بإقامة مملكة إسرائيل في أرض الميعاد. ولذلك كان يسيطر عليهم الفكر والسلوك الجماعي على عكس مجموعات المهاجرين في الثلاثينات الذين كان أغلبهم من الطبقة المتوسطة (البورجوازية التجارية والصناعية) فقد كان يحركهم أساساً عامل الربح والسلوك الفردي. وإذا كانت الاعتبارات الاقتصادية من دوافعهم فإنها لم تكن الدافع الوحيد. فلقد كانوا في كثير من الحالات متشبعين بقناعات صهيونية في النواحي الدينية خاصة.

وتذكر الإحصائية التي نشرتها كوكب الشرق أن عدد العمال اليهود الذين دخلوا فلسطين عام ١٩٣٣ بلغ ١١٦٥ عاملاً ووصل سنة ١٩٣٤ إلى ١٦٨٨ عاملاً[٦]. وتشير البلاغ بهذه المناسبة إلى ظاهرة جديدة تتعلق بهؤلاء العمال، خاصة بشهادات الهجرة التي تتسلمها الوكالة اليهودية من حكومات الانتداب وتقوم بتوزيعها بالعدل بين اليهود. والجديد في هذه المسألة هو إعطاء شهادات الهجرة على الحساب وهي طريقة ابتدعتها الحكومة منذ نهاية عام ١٩٣٣، وقد ترتب عليها مفارقات ونتائج غريبة. ذلك أنه عندما يحل موسم إعطاء باقي الشهادات وتقوم الحكومة بخصم العدد الذى حصلت عليه الوكالة من قبل (على الحساب) هنا تثور ثائرة الوكالة وباقي الهيئات اليهودية في فلسطين والخارج وتبكي وتنوح زاعمة أن الحكومة قد أعطت الوكالة عدداً من الشهادات أقل من العدد المقرر، وأنها تقف عقبه في سبيل تحقيق الهجرة اليهودية إلى البلاد. وتكون النتيجة أن الحكومة البريطانية تحت تأثير هذه الحملات في البرلمان البريطاني وفي لجنة الانتدابات (تلحس) العدد الذى أعطته على الحساب وتحسبه هبة في سبيل الله وتعطي الوكالة بدله عدداً مماثلاً أو أكثر[٧]. والمعروف أن هذه الشهادات تعطي فقط من أجل هجرة العمال اليهود وهي لا تقل عن ستة آلاف شهادة في كل سنة

أشهر. ويحق للعامل الذى يدخل بها أن يأتي بعائلته، وهي عادة لا تقل عن خمسة أشخاص.

ومن أبرز السمات التي تتميز بها الهجرة اليهودية في الثلاثينات (سيل اليهود الهاربين من ألمانيا الذى أخذ يتدفق إلى فلسطين، البلاد التي يمكنهم أن يدخلوها كحق وليس كمهنة)[٨]. ولقد كان نصيب ألمانيا من شهادات الهجرة ٢٦,٦% فازدادت حصتها إلى الضعف بعد وصول الحزب النازي إلى الحكم سنة ١٩٣٣ وأخذ اليهود الألمان يتأهبون للنزوح من بلادهم، ووجد كثير منهم ملجأ مؤقتاً لهم في البلاد المجاورة لألمانيا. وقد نظر زعماء الحركة الصهيونية بعين الأمل إلى نذر اضطهاد اليهود في اوروبا وأدركوا ان موجة الاضطهادات إذا جرت يجب أن تستغل لمصلحة الصهيونية ولمصلحة تحقيق الدويلة اليهودية في فلسطن[٩]. وقد اتفقت سلطات الانتداب البريطاني مع الوكالة اليهودية على أن اليهود الفارين من الاضطهاد النازي في المانيا الذى انتقلت عدواه إلى جاراتها يقبلون في فلسطين. وعلى ضوء ذلك نشطت الحركة الصهيونية لإيقاظ حركة اللاسامية من رقادها في معظم بلدان أوروبا الشرقية، فعم الخوف بين اليهود وبدأت أعداد كبيرة منهم تقتنع بالدعاية الصهيونية التي نجحت في تحويل أنظارهم إلى فلسطين.

تهريب اليهود إلى فلسطين :

نشطت في عام ١٩٣٤ حركة تهريب اليهود إلى فلسطين براً عن طريق الحدود الفلسطينية السورية واللبنانية المشتركة وعن طريق البحر وخصوصاً المراكب التي كانت تأتي من مصر تحمل أعداداً كبيرة من يهود مصر واليمن[١٠]. وقد أولت الصحف المصرية هذا الموضوع اهتماماً ملحوظاً وقامت بتغطية حوادث تهريب اليهود إلى فلسطين عن طريق السفن المصرية وبمعاونة البحارة المصريين. وقد نشرت صحيفة الاتحاد نبأ عن موافقة وزارة الداخلية المصرية على التصريح لليهود الذين يتجاوزون الموانىء المصرية على البواخر البحرية في طريقهم إلى فلسطين بالنزول إلى الموانىء المصرية في الفترة التي تقيم خلالها البواخر في هذه

المواني،[١١]. وهذا يوضح إلى أى مدى كانت السلطات المصرية تساهم في منح التيسيرات للهجرة اليهودية إلى فلسطين سواء تم ذلك عن عمد أو عن غفلة. وقد كان من الشائع أن تطالعنا صحف هذه الفترة بأخبار يومية عن ضبط مراكب مصرية تقوم بتهريب اليهود أحياناً في مياه يافا وأحياناً أخرى في مياه غزة.

ونظراً لعدم فاعلية الإجراءات التي كانت تتبعها السلطات الانتدابية لمراقبة الهجرة غير المشروعة وخصوصاً عمليات التهريب التي تصاعدت بشكل ملحوظ خلال صيف ١٩٣٤ فقد قام شباب فلسطين بجهود ذاتية في محاولة لمقاومة هذه العملية. وأخذ مؤتمر الشباب على عاتقة تنظيم عملية حراسة سواحل وحدود فلسطين . وقرر في ١٣ يوليو ١٩٣٤ تشكيل لجنة لحراسة السواحل والحدود[١٢]. وقد أرسل مكتب الشباب وفداً إلى بيروت ودمشق لمنع بعض العملاء العرب من تشجيع الهجرة اليهودية. وكانوا يقبضون ١٨ جنيهاً فلسطينياً مقابل إدخال النفر الواحد من اليهود إلى فلسطين[١٣].

وبينما كانت الصحافة المصرية تتابع مضار تصاعد حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتسهم بإيجابية في كشف بواطن الخلل والتواطؤ محاولة إبراز الجهود المتواضعة التي كان يبذلها الشعب الفلسطيني في مواجهة التواطؤ البريطاني المدعوم برؤوس الأموال اليهودية والقوي العسكرية المدربة ووسائل الدعاية العصرية، فضلاً عن تأييد الدول الغربية بأكملها – في هذا الوقت كان الصوت الصهيوني في مصر لا يخفت مطلقاً، بل نراه يعلو احتجاجاً أو تأييداً أو استنكاراً طبقاً للظروف ووفقاً لمراحل بناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين والصعوبات التي كانت تعترض إقامته. فعندما أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض في اكتوبر سنة ١٩٣٠ الذى تناول مسألة الهجرة وأشار إلى ضرورة التشديد على مراقبة المهاجرين وإبعاد من كان منهم يحاول التلاعب بالقوانين والحد من تدخل منظمة العمال في تنظيم الهجرة اليهودية، كما أشار إلى العلاقة بين البطالة عند العرب ومعدل الهجرة اليهودية[١٤]، ولذلك أوصى إعمالاً لأحكام صك الانتداب بأن تعمل الدولة المنتدبة على تخفيض الهجرة أو توقيفها إذا

استدعت الضرورة ذلك ربما يتسنى للعاطلين من الفئات الأخرى إيجاد عمل لهم[١٥]- حينئذ ارتفعت أصوات الصحف الصهيونية في مصر تندد بموقف حكومة ماكدونالد "التي لم تقدر بادئ الأمر النتائج الخطيرة التي من الطبيعي أن تترتب على وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين"[١٦]. وترى صحيفة إسرائيل أن أولى هذه النتائج هي حبس الأموال اليهودية عن فلسطين بسبب موجة السخط التي اثيرت بين الدوائر اليهودية في مختلف انحاء العالم والتي تبلورت في شكل مظاهرات واحتجاجات شديدة ضد بريطانيا. وتستشهد الصحيفة بمظاهرة نيويورك التي اشترك فيها ٢٥ ألف يهودي للاحتجاج على وقف الهجرة وانتقاد سياسة بريطانيا بسبب عدم احترامها لالتزاماتها الدولية إزاء الوطن القومي. وتبالغ الصحف في تصوير الأثر الذى ترتب على صدور الكتاب الأبيض وتوصياته الخاصة بالهجرة فتشير إلى صداه في لجنة الانتدابات التي وجهت اللوم إلى الحكومة البريطانية لعبثها بحقوق الشعب اليهودي ويصل إلى حد أنها (تستبعد على الدول التي وقعت على تصريح بلفور وعددها ٥٢ دولة أن تطالب انجلترا بتنفيذ هذا الوعد وإنشاء الوطن القومي)[١٧]. وتشير الصحيفة إلى إحتجاج أصحاب المصانع في تل أبيب على وقف الهجرة بسبب الأضرار البالغة التي ستصيب الصناعة اليهودية في فلسطين نتيجة احتياجها الشديد إلى أعداد وفيرة من العمال اليهود وأن قرار وقف الهجرة سيعوق بناء الوطن القومي اليهودي. ولكن رغم ذلك (فإن الشعب الأزلي يأبي أن ينزل عن حقوقه في سبيل وعود كاذبة وأمان مسلوبة بل سوف يواصل كفاحه من أجل بعث الحضارة اليهودية مهما كانت العوائق)[١٨].

وقد أثيرت القضية مرة أخرى عندما كتب سعيد يعقوب المالكي للرد على الاقتراحات التي طرحها المندوب السامي على رؤساء البلديات في نوفمبر ١٩٣٣ والخاصة بتقييد الهجرة اليهودية إلى فلسطين، فأجرى مقارنة بين ما كانت عليه فلسطين قبل الهجرة اليهودية وبين ما هي عليه اليوم قال (إن المرء إذا ما قارن ما كانت عليه فلسطين بالأمس من خمول وفقر وخراب وإقفار وما هي عليه اليوم من تقدم وعمار ورقي وازدهار لتولاه العجب ولأخذته الدهشة من هذا التقدم الباهر الذى قطعته البلاد بفضل سواعد المهاجرين وأموالهم. ويرى أن ذوى المآرب السياسية

يجادلون في هذه الحقيقة ويحاولون التمويه على الشعب العربي في فلسطين. والمؤلم أن السياسة البريطانية تتأثر بصيحات هذه الفئة ولا تنظر إلى مستقبل البلاد ولم تكتف بذلك، بل كثيراً ما عمدت إلى مشروعات اليهود فعرقلتها وإلى حقوقهم المشروعة فعبثت بها. وهذه الحملة المنكرة على المهاجرين ليس لها معنى سوى أن الحكومة البريطانية قد حنثت بعهودها وعبثت بالمهمة التي ناطتها بها عصبة الأمم(١٩).

ويتساءل الكاتب عن تفسير منطقي لموقف الحكومة البريطانية الذى يتنافي على حد قوله مع صك الانتداب ومصلحة البلاد. ويرى الكاتب اليهودي (أن المسألة الفلسطينية بسيطة جلية لا لبس فيها وأن الحكومة البريطانية إذا كانت تريد أن تحل المسألة الفلسطينية كما تدعي فما عليها إلا أن تفتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية. فهي إن فعلت ذلك فإنها تسدي إلى البلاد أجل الخدمات(٢٠).

وتقوم صحيفة الشمس باستكمال الدور الذى تلعبه صحيفة إسرائيل للتأثير على الرأي العام المصري بالعمل على تهدئة أثر الحملات التي تقوم بها لصحف العربية في مصر ضد الهجرة اليهودية. وتردد وجهة النظر ذاتها مع اختلاف اللهجة واسلوب المعالجة عن صحيفة إسرائيل. إذ أنها تتسم بقدر كبير من الهدوء واصطناع الأسلوب الناعم في طرح وجهة نظرها. وغالباً ما تضع صحيفة الشمس المسئولية على بريطانيا فهي (التي تبذر الشقاق بين الشعبين الشقيقين وتمنعهما من المشاركة في بناء الوطن المشترك). وترى أن تردد الحكومة البريطانية وتلكؤها يعوق الدور الحضاري للشعب اليهودي في فلسطين إذ لو كانت الأمور في فلسطين تسير في نهجها الطبيعي لأطلعت الحكومة الهجرة من عقالها وأزالت من سبيلها جميع العقبات لليهود أن يسيروا بالبلاد في سبيل التقدم(٢١).

هوامش (الهجرة اليهودية)

١- أ- سعد الياس: الهجرة اليهودية إلى فلسطين، مركز الابحاث الفلسطينية، بيـــروت ص ٢٤، ٢٨، ٣٤.

ب- سميسون السيرجون هوب: مرجع سابق ص ١٧٢، ١٧٣.

جـــ- اللجنة الملكية لفلسطين - مرجع سابق ص ١٠٥.

د - عادل غنيم - الحركة الوطنية الفلسطينية من١٩١٧-١٩٣٦- القاهرة ١٩٧٤ - ص ٢٦٨.

٢- كوكب الشرق ١٩٣٥/٣/١٩ المهاجرون في عامين.

٣- المصدر السابق.

٤- المقطم ١٩٣٣/٩/٢.

٥- كوكب الشرق ١٩٣٥/٣/١٩.

٦- كوكب الشرق ١٩٣/٣/١٤.

٧- البلاغ ١٩٣٤/١٠/٢٤ الحساب الجاري المتواصل في شهادات الهجرة اليهودية.

٨- د. كامل خلة - مصدر سابق ص ٣٤٧.

٩- السياسة ١٩٣/١٠/٢٢.

١٠- الاهرام ١٩٣٤/٥/٢٩ هجرة اليهود الى فلسطين.

١١- الاتحاد ١٩٣/١٢/٢٤ هجرة اليهود إلى فلسطين.

١٢- الاهرام ١٩٣٤/٨/٢٦.

١٣- كوكب الشرق ١٩٣٥/٤/١٥ الطرق التي يدخل منها اليهود إلى فلسطين.

١٤- كامل خلة - مصدر سابق ص ٣٥٥.

١٥- المقطم ١٩٣٤/٧/٢٦.

١٦- الاتحاد ١٩٣٤/٨/٢١ الهجرة غير المشروعة إلى فلسطين.

١٧- إسرائيل: ١٩٣٠/٦/١٣.

١٨- المصدر السابق.

١٩- إسرائيل ١٩٣٣/١٢/١.

٢٠- المصدر السابق.

٢١- انظر: الشمس ١٩٣٣/٣/١٥.

ثانياً: الجامعة العبرية وزيارة بلفور لفلسطين

في ٢٥ ابريل ١٩٢٥ أعلن اللورد بلفور افتتاح الجامعة العبرية بصفة رسمية في احتفال مشهور شاركت فيه الحكومة البريطانية وعدة حكومات أخرى ومندوبون عن نحو ستين جامعة. وكانت جامعتنا المصرية إحداها[١]. ويعتبر افتتاح الجامعة العبرية في القدس من أبرز الأحداث التي شهدتها العشرينيات في فلسطين. وقد كان لهذا الحدث أصداء واسعة شملت الشعب الفلسطيني وسائر الشعوب العربية خصوصاً في سوريا والعراق ومصر. وتجاوبت الصحف المصرية مع هذا الحدث إلى مدى بعيد وإن اختلفت ردود الفعل طبقاً لاتجاه كل صحيفة ونوعية القوي التي تعبر عنها. وقد انفردت صحيفة السياسة بنشر عدة مقالات هامة عن الجامعة العبرية وتاريخها والأقسام العلمية التي تشتمل عليها ومكتبتها والمشروعات العلمية التي تنوي القيام بتنفيذها، كما حرصت على إبراز الصلة بين إنشاء الجامعة وفكرة البعث اليهودي.

كتبت السياسة عن نشأة الجامعة العبرية تقول: "لما جاءت اليهودية بفكرة الوطن القومي منذ نحو نصف قرن برزت في نفس الوقت فكرة الأحياء اليهودي لتكون دعامة هذا الوطن، ورأى المفكرون من شعب إسرائيل ان بعث الأمة اليهودية لا يقوم إلا على بعث المدنية اليهودية من روحية وفكرية. وكانت هذه النظرية نواة الجامعة العبرية"[٢].

وكان أول من فكر في إنشاء الجامعة هيرمان شابيرو أستاذ الرياضيات بجامعة هيدلبرج. وفي سنة ١٩٠١ أصدر المؤتمر الصهيوني الخامس قراراً بتأييد الفكرة، وفي سنة ١٩١٣ قرر المؤتمر الحادي عشر إنشاء الجامعة وبدأ بالفعل تنفيذ القرار فأشتريت الأرض ووضعت التصميمات، ولكن اندلاع الحرب العالمية الأولى أدى إلى توقف كل شيء. ولما صدر وعد بلفور في ٢ نوفمبر ١٩١٧ بعثت الفكرة من جديد وعهد إلى اللجنة الصهيونية التي جاءت إلى فلسطين في سنة ١٩١٨ بإنشاء الجامعة. وفي يولية ١٩١٨ وضع الدكتور وايزمان الحجر الأساسي لبنائها فوق جبل الزيتون

في القدس. ثم افتتحت رسمياً في سنة ١٩٢٥. وترى السياسة (أن الجامعة العبرية تعد أول مرحلة في تنفيذ فكرة الإحياء اليهودي، ومن ثم تعد الدعامة الروحية والمعنوية لمشروع الوطن اليهودي، وهذا ما يتجلى في وظائفها وسياستها التعليمية الحاضرة. ذلك أن الجامعة العبرية معهد للبحث والإستقصاء قبل كل شيء، وهذا البحث يقتصر على كل ما يمكن أن يعود بالخير والرفاهية على مشروع الوطن القومي في الوقت الحاضر[٣].

وقد قادت كوكب الشرق حملة صحيفة واسعة النطاق مستهدفة إيقاظ الرأي العام المصري وتنويره فيما يتعلق بحقيقة الهدف الذي أنشئت من أجله الجامعة العبرية بالقدس، وأن هذه الجامعة ليست وسيلة لنشر الحضارة والعلم في ربوع الشرق كما يدعى منشئوها ولكنها وسيلة لتحقيق الوطن القومي اليهودي في فلسطين. وتستشهد كوكب الشرق على ذلك بعدة شواهد منها ما يدعيه المندوب السامي السر هربرت صمويل من (أن هذا البيت الجامعة) لا يمكن أن يعجز عن نفع جميع الطوائف التي يتألف منها سكان فلسطين. وسكان فلسطين يبلغون نحو ثلاثة أرباع مليون نسمة ٩/١٠ منهم غير يهود يتكلمون العربية والـ١/١٠ الباقي يجهل أكثره العبرية. فهل من المعقول أن يكون التدريس بالعبرية؟ إذن لمن فتحت الجامعة ...؟[٤].

وتتساءل الصحيفة عن سر التناقض بين تصريح السر هربرت صموئيل عن الجامعة العبرية وأنها ستكون مركزاً جديداً للعلم ينشر العرفان في ربوع فلسطين. وكيف يتفق هذا مع قرار الحكومة وعلى رأسها السر هربرت صمويل نفسه بإغلاق المدارس الرسمية التي يتعلم فيها الوطنيون. وتواصل الصحيفة حملتها فتتساءل عن معنى دعوة اللورد بلفورد ليفتتح الجامعة العبرية في فلسطين وهو صاحب الوعد الذى يشكو منه أهل فلسطين لأنه سيقضى على كيانهم. "أليس في ذلك امتهان لهؤلاء القوم وهم ضعفاء مغلوبون على أمرهم، وهل يتفق هذا مع هيبة العلم وجلاله وهل لمثل هذا تفتتح جامعة العلم في العالم"[٥]. والواقع أن افتتاح الجامعة العبرية بالقدس قد ارتبط بإثارة حادثين على جانب كبير من الأهمية أولهما زيارة اللورد بلفورد لفلسطين وقيامه

بافتتاح الجامعة وما ترتب على تلك الزيارة من ردود فعل حادة لدى الشعب الفلسطيني والشعوب العربية وخاصة في سوريا ولبنان. وثانيهما اشتراك مصر في افتتاح الجامعة العبرية بإيفاد الأستاذ لطفي السيد مندوباً رسمياً عنها وقد أثار ذلك الحدث ضجة كبيرة شاركت فيها الصحف المصرية والصحف الفلسطينية على اختلاف اتجاهاتها.

وفيما يتعلق بقيام اللورد بزيارة فلسطين لافتتاح الجامعة العبرية، فقد قابلها الفلسطينيون بالاحتجاج والإضراب الشامل، وظهرت في الصحف الوطنية عدة مقالات تندد بالزيارة وعقدت اللجنة التنفيذية اجتماعات عديدة لبحث ما ينبغي عمله اثناء زيارة بلفور. وعلى الأثر أعلنت اللجنة يوم وصول بلفور يوم حداد ودعت إلى إضراب شامل في البلاد كلها لهذه المناسبة. وبالإضافة إلى ذلك دعت إلى مقاطعة رجال الإدارة البريطانيين الذين يمثلون التحالف الانجلو صهيوني طيلة المدة التي سيقضيها بلفور في البلاد (فالعرب يرون في اللورد بلفور تجسيداً للمصلحة البريطانية في الصهيونية ويعتبرونه غير مبتدع لهذه السياسة فحسب بل مؤازرها المخلص أيضاً[٥م].

وفي اليوم الذي وطئت فيه قدما اللورد بلفور أرض فلسطين أعلن في البلاد إضراب عام شمل المتاجر والمدارس والسيارات وتقيد به المسلمون والمسيحيون في مختلف أنحاء البلاد.. ورفعت الرايات السوداء وأصدرت صحيفة فلسطين عدداً خاصً باللغة الإنجليزية. وألقى خليل سكاكيني خطاباً وطنياً من فوق منصة الحرم الشريف. وعلى الفور اتخذ قرار يدعو اللورد بلفور إلى مغادرة البلاد التي دخلها على غير رغبة من سكانها وأهلها. وبلغ القرار إلى المندوب السامي بواسطة حاكم اللواء[٦]. وقد وصفت صحيفة البلاغ اليومية مظاهر الاحتجاج والرفض لدى الشعب الفلسطيني والتي قوبل بها بلفور أثناء الزيارة فقالت: (لقد شاهد المارون في شوارع القدس في أول يوم من شهر رمضان مناظر خطيرة مدهشة حيث أوصد العرب في فلسطين جميع منازلهم وحوانيتهم ونوافذ منازلهم ورفعوا الأعلام منكسة ووضعوا إشارات الحداد في كثير من الأماكن احتجاجاً على زيارة اللورد بلفور. ولئن خشى العرب شيئاً

فهم لا يخشون ذلك البناء المقام على جبل الزيتون ولا يفزعون من الجامعة نفسها. بل هم يخشون كثرة النازحين إلى فلسطين من اليهود بعد أن ساعدهم تصريح بلفور على ذلك(٧).

وتهتم البلاغ بتحليل أسباب الموقف الذى اتخذه الفلسطينيون إزاء بلفور وأنه لا يمكن أن يؤول بأنه عداء ضد شخص اللورد بلفور (إذ لا مجال للريب فيه لولا التصريح المذكور لقوبل اللورد بمثل ما قوبل به غيره من الزعماء الانجليز من الحفاوة والإجلال مثل المستر سكويت ولورد نورتكليف والسير الفرد موند والأخير من أنصار الجامعة الصهيونية. فالمقاطعة هي ضد التصريح الذى يمثله لورد بلفور (وهو يشبه مقاطعة المصريين ١٩٢٠ للجنة لورد ملنر التي جاءت للمفاوضة على اسس الحماية)(٨). وهناك ظاهرة انتبهت لها الصحف المصرية وتناولتها بالتعليق وهي روح التضامن التي شملت جميع فئات الشعب الفلسطيني ووحدتهم صفا واحداً كالبنيان المرصوص أمام زائرهم واجتمعت كلمتهم، فلم يؤثر فيهم الإغراء ولا التهديد. وقد رأت بعض الصحف المصرية مثل المقطم والوطن أن هذه الظاهرة الإيجابية يرجع الفضل في ظهورها إلى زيارة اللورد بلفور لفلسطين. تقول المقطم: (لقد ذكرنا أن الفلسطينيين كانوا تائهين في مهامة الانقسام والتفرقة قبل زيارته وأن جميع المساعي التي بذلت للتوفيق بين احزابهم وهيئاتهم وإعادة الاتحاد إلى صفوفهم ذهبت هباء منثوراً حتى جاء اللورد بلفور فاتحدوا دون دعوة وتفاهموا دون وساطة أدركنا مقدار ما لحق بسياسة التفريق من هبوط وأن البناء الذى أقامته الصهيونية لم يقو على الثبات أمام الصدمة الأولى(٩). وتبدي الوطن تعاطفاً قوياً مع موقف الفلسطينيين وتعبر عن ذلك في مقال افتتاحي خصصته لهذا الحدث تقول: (اننا في الوقت الذى نأسف فيه اشد الأسف على ما يراق في تلك البلاد المقدسة من الدماء في سبيل الجشع الاستعماري لا يسعنا إلا أن نعلن إعجابنا الشديد بهذه الروح المباركة التي سرت في الشرق كله وتجلت في فلسطين بحالة تبشر بأطيب الآمال .. ولئن استطاع الغرب اليوم أن يتجاهل تلك القوة المعنوية فسيرغمه ثبات الشرق وتضامنه على احترام حقوقه وتقدير نهضته)(١٠).

وتنتهز الأهرام فرصة زيارة بلفور لفلسطين فتوجه نقدها للعرب وتستخرج من هذه الزيارة عبرة جدير بكل شعب مطالب بحق أن يحتذيها[١١]. تقول الاهرام (ليس من الصواب أن يقال أن تصريح بلفور كان القوة العظمي التي استمدها الصهيونيون لتحقيق أمانيهم فالتصاريح الرسمية ليست هي العامل الجوهري في تحقيق أطماع الأمم بل القوي الكامنة في نفسها والوسائل التي تستخدمها لتحقيق هذه المصالح. وليس تصريح بلفور سوى إحدى هذه الوسائل فلو عدم الصهيونيون وسائلهم الأخرى لانطفأت جذوة الصهيونية منذ ظهرت الشرارة الأولي فيها. ثم أن تصريح بلفور جاء بعد رسائل مكماهون. ومهما قيل فهو تصريح مطاط قابل للتفسير والتأويل، أما رسائل مكماهون فإنها صريحة جلية لا تقبل تفسيراً ولا جدلاً في شأن فلسطين. ومع ذلك فقد استخرج الصهيونيون من تصريح بلفور أكثر مما فيه كثيراً، ولم يستطع العرب أن يستفيدوا من رسائل مكماهون غير ما يشبه تمثيل الروايات لتسلية المتفرجين.. نعم إن للإنجليز سياستهم وإن لهم الفضل كله في حماية جنود الصهاينة الدائبين على بناء الوطن القومي. ولكن الإنجليز قوم لا يخلقون الفرص بل ينتهزونها. ولو كان للعرب كفاية الصهيونية لرأينا منذ مدة بعيدة تفسيراً لتصريح بلفور يلقيه في سلة المهملات ولتحولت رسائل مكماهون إلى معاهدة دولية جليلة تقرر نظاماً راسخاً يشعل جزيرة العرب كلها. وما الذنب في ذلك ذنب الإنجليز الذين تهمهم مصلحتهم وحدهم ولا ذنب الصهيونيين الذين يطلبون وطناً لمن لا وطن له، بل ذنب الذين ناموا عن تصاريف الزمن وأضاعوا كل فرصة سانحة مع أنهم عرفوا أحلام الصهيونيين منذ رسمها لهم زعماؤهم)[١٢].

وهناك بعض الصحف المصرية، مثل صحيفة الاتحاد، لم يثر اهتمامها ردود الفعل القوية التى أحدثتها زيارة بلفور لدى الفلسطينيين وسائر العرب بل تناولتها من الزاوية المضادة. واشارت الى اهميتها كدعامة معنوية لمؤسسى الوطن القومي اليهودي في فلسطين. بل عزت إليها الأهمية الدولية التي اكتسبتها المسألة الفلسطينية (إذ أصبحت ضمن المسائل الدولية التي تهم العالم بأسره)[١٣]. واتخذت منها منطلقاً للإشادة بالتقدم والعمران الذى بلغته فلسطين حتى أصبحت (كعبة القصاد من

المهاجرين ذوي المطامع الواسعة). وأبرزت الاتحاد في مقالها الذى نشرته نقلاً عن صحيفة الطان الفرنسية الفوائد الجمة التي تعود على فلسطين من وراء الهجرة اليهودية خاصة (وأنه قد اختير المهاجرون من خلاصة اليهود وأشدهم ذكاء وأقدرهم على العمل. فإذا ما وطئت أقدام هؤلاء المهاجرين أرض فلسطين وزعوا على المدان والقري وروعى في توزيعهم كفاءتهم واستعدادهم لمختلف الأعمال. ولقد زار اللورد بلفور كثيراً من هذه الأراضي التي يستعمرها شبان اليهود فلم يسعه حين رآها إلا أن يجهر بهذه الحقيقة وهي أن اليهودي قد تحلى بصفات تمكنه من تحويل الأرض المجدبة إلى أرض خصبة تدر الخير على زارعيها[١٤].

والواقع أن ردود الفعل التي أحدثتها زيارة بلفور لفلسطين لم تقتصر على أهل فلسطين فحسب بل قامت جميع بلاد الشام تقاسمها احزانها وتشاطرها شعورها. وبزت دمشق الجميع فلم تحجم منذ أعلنت زيارة بلفور عن إرسال الاحتجاج تلو الاحتجاج والنداء تلو النداء مطالبة بحق مهضوم وبرفع غبن الحق بشعب شقيق[١٥]. إن موقف دمشق الأخير يعيد إلى الذاكرة موقف فلسطين سنة ١٩١٩، يوم قدمت لجنة المستركرين الأمريكية لاستفتاء السوريين والفلسطينين في نوع الحكم الذي يختارونه. فقد طافت فلسطين من أقصاها إلى أقصاها واجتمعت بشيوخها وشبابها فسمعت منهم جواباً واحداً (اذهبوا إلى دمشق) واسألوا قادتهم الرأي فنحن لهم متابعون وبكل ما يقررونه راضون. هذا هو الموقف الذي وقفته فلسطين يوم نزلت بلادها لجنة كرين وضربت للبلاد العربية مثلاً عالياً في الاتحاد والتضامن. وقد دلت زيارة بلفور لفلسطين على أن الروح التي سرت في بلاد العرب سنة ١٩١٩ لا تزال صحيحة سالمة سنة ١٩٢٥، ووقفت دمشق نفس الموقف الذي وقفته يومئذ تنادي أن بلاد الشام وحدة لا تتجزأ وأن فلسطين للفلسطينيين دون سواهم[١٦].

وقد علقت صحيفة الحساب لسان حال الحزب الشيوعي المصري على زيارة بلفور لسوريا كتبت تقول: (كأن لم يكفه ما فعلته زيارته لأهالي فلسطين وأي تذكار سؤلم تركه في أنفسهم فأراد أن يتسلى بنفسه بين أهل سوريا ويتلهي بأن يتفرج على

عذابهم وألمهم عندما يزورهم بائع شقيقة بلادهم للمستعمرين من اليهود)[١٧]. وقد استعرضت الصحيفة وقائع المطاردة العنيفة التي قامت بها الجماهير السورية واللبنانية في كل من دمشق وبيروت ضد اللورد بلفور مما اضطره الى الفرار من المدينتين المذكورتين طلباً للنجاة.

أما الحدث الثاني الذي ارتبط بافتتاح الجامعة العبرية فهو اشتراك مصر في الاحتفال بافتتاح الجامعة بإيفاد الأستاذ لطفي السيد مدير الجامعة المصرية مندوباً رسمياً عنها. وقد أثار اشتراك مصر في افتتاح الجامعة الصهيونية عاصفة من الاحتجاج من جانب الفلسطينين عبرت عنها الصحف الوطنية في فلسطين وكثير من القيادات الوطنية[١٨]. وقد حاول الاستاذ لطفي السيد استدراك الأمر فقام بزيارة للمعاهد الإسلامية كما اصدر بياناً رسمياً أعلن فيه الظروف والملابسات الدقيقة التي احاطت بمهمته في القدس خصوصاً وأن الدعوة صادرة من معهد علمي من المفروض انعدام صلته بالسياسة كما هو شأن الجامعات العلمية. ولكن ابدي ارتيابه من المبالغة التي احيط بها الاحتفال بافتتاح الجامعة العبرية مما ينطوي على التروبج للدعوة الصهيونية. ومما أكد له ذلك ما نمي إلى علمه من أن لغة الجامعة هي اللغة العبرية. ولذلك امتنع عن إلقاء كلمته في الاحتفال حتى لا يفهم من ذلك تأييد مصر للعنصر الصهيوني وتفضيله على العنصر العربي في فلسطين[١٩].

والواقع أن الدعوة لحضور احتفالات الجامعة العبرية لم تقتصر على الحكومة المصرية فحسب بل وجهت دعوة مماثلة الى الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية سابقاً وكذلك الدكتور أحمد زكي باشا فإهملاها ولم يردا عليها. وقد ذهب فريق من يهود مصر إلى الشيخ بخيت ورجوه باسم العلم ان يحضر تلك الحفلة فاعتذر بكبر السن مشقة السفر فألحوا عليه وعرضوا عليه تسهيلات كبيرة في السفر. فلما ضاق بهم ذرعاً أوضح لهم بأنه لا يستطيع ان يحضر احتفالاً يسيء إلى اهل فلسطين الذين هم في حالة حداد بسبب هذه الجامعة[٢٠].

وقد استغلت الدوائر الصهيونية حضور لطفي السيد لحفل افتتاح الجامعة العبرية من الناحية الدعائية إلى مدى بعيد. وشاركتها في ذلك وكالات الأنباء الأوروبية والصحف والإذاعات حتى أن رويتر لم تذكر من أسماء من حضروا ذلك الحفل إلا اسم لطفي السيد، كذلك علقت صحيفة (باليستين ويكلي) الصهيونية على ذلك بقولها (إن حضور مندوب مصر هذه الحفلة كان دليلاً على أن مصر العاقلة لا ترى في الصهيونية رأي أهل فلسطين)[٢١]. كما أشاد اليهود المصريون باشتراك مصر في افتتاح جامعتهم بالقدس وقد نوه يوسف بوتشو عضو مجلس الشيوخ المصري وأحد اليهود المشتركين في احتفالات الجامعة العبرية بعطف الحكومة المصرية على القضية الصهيونية. واستشهد على ذلك بإرسالها صاحب العزة أحمد لطفي السيد مندوباً من الجامعة المصرية[٢٢].

هوامش (الجامعة العبرية)

١- الساسة ١٩٢٥/٤/٤.

٢- المصدر السابق.

٣- المصدر السابق.

٤- كوكب الشرق ١٩٢٥/٤/٤ افتتاح الجامعة العبرية بالقدس.

٥- كوكب الشرق ١٩٢٥/٤/٤.

٥م- كوكب الشرق ١٩٢٥/٤/٥.

٦- كوكب الشرق ١٩٢٥/٤/١٠.

٧- البلاغ ١٩٢٥/٤/١٢.

٨- البلاغ ١٩٢٥/٣/٢٥ اللورد بلفور وفلسطين.

٩- المقطم ١٩٢٥/٤/١١، بلفور في القدس ودمشق.

١٠- الوطن ١٩٢٥/٥/٢، الحركة الفلسطينية مقال افتتاحي.

١١- الاهرام ١٩٢٥/٣/٣٠، تعليق على زيارة بلفور لفلسطين.

١٢- المصدر السابق.

١٣- الاتحاد ١٩٢٥/٥/١٧، الحركة الصهيونية في فلسطين.

١٤- الاتحاد، المصدر السابق.

١٥- المقطم ١٩٢٥/٤/١١.

١٦- المصدر السابق: بلفور في القدس ودمشق.

١٧- الحساب ١٩٢٥/٤/١٧.

١٨- المقطم ١٩٢٥/٣/٣١ برقيات احتجاج.

١٩- كوكب الشرق ١٩٢٥/٥/٥، لطفي السيد يدافع ويعتذر.

٢٠- الشوري ١٩٢٥/٥/١.

٢١- كوكب الشرق ١٩٢٥/٥/٥ مصدر سابق.

٢٢- المقطم ١٥ ابريل ١٩٢٥.

ثالثاً: قضية الأراضي

كان أحد الأهداف الأساسية للبعثة الصهيونية التي قدمت إلى فلسطين في ابريل ١٩١٨ "أن تسهل عملية شراء اليهود للأراضي في فلسطين. ولم تعترض الإدارة العسكرية البريطانية في ذلك الوقت على عمل البعثة. وتمت بالفعل عمليات بيع لكنها لم تسجل إلا في عام ١٩٢٠. وفي اكتوبر من نفس العام أصدر هربرت صموئيل قانون انتقال الأراضي لسنة ١٩٢٠ الذى قضى بضرورة أخذ موافقة الحكومة على كل انتقال يجري في الأموال غير المنقولة ومنع انتقال الأراضي لغير سكان فلسطين. وكان هدف هربرت صموئيل من ذلك أن يسهل عملية شراء اليهود للأراضي وأن يمنع فئة الملاك الغائبين الذين كان لهم أراض واسعة في فلسطين من شراء مساحات اخرى من الأرض[١]. وفي أول فبراير ١٩٢١ صدر قانون انتقال الأراضي لسنة ١٩٢١ وقد نص أيضاً على ضرورة موافقة الحكومة على كل انتقال يجري في الأموال غير المنقولة واشترط عدم منح تلك الموافقة إلا إذا كان مدير الأراضي مقتنعاً بأن المستأجر الذي يشغل الأرض قد احتفظ لنفسه في تلك المنطقة أو غيرها بمساحة من الأرض تكفي لمعيشته ومعيشة عائلته. وقد اعتبر العرب هذا القانون محاولة لخفض أسعار الأراضي ولتسهيل انتقال الأراضي المعروضة للبيع إلى أيدى اليهود"[٢].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى استخدم المندوبون السامون مطلق صلاحياتهم في إصدار التشريعات الخاصة بإجراءات نزع ملكية الأرض العربية بالذات دون اليهودية. واستناداً إلى قانون تمليك الاراضي للجيش سنة ١٩٢٠ قامت حكومة الانتداب بنزع ملكية الكثير من الاراضي العربية بحجة المشاريع العمومية[٣]. كما أنها لم تصدر أى قانون لحماية المزارعين الذين تعرضوا للطرد من الأراضي التي باعها لملاك الغائبون من الأسر الاقطاعية في سوريا ولبنان. وذلك رغم ان حكومة الانتداب صدرت في مارس ١٩٢٩ قانون حماية المزارعين الذى نص على وجوب دفع تعويض للمزارعين الذين سيتعرضون لإخلاء اراضيهم مقابل الإزعاج الذي يلحق بهم

والتحسينات التي أجروها في تلك الأراضي. ولكن هذا القانون اغفل كل الاعتبارات الاخرى الهامة مثل تقدير التعويض واشتراط احتفاظ المزارع بقطعة ارض يعيش منها. فهو لم يزد عن كونه قانوناً لمنع الإزعاج وليس التعويض عن الإزعاج على حد قول السيرجون هوب سمبسون في تقريره المعروف[٤] ١٩٣٠. ومهما يكن فإن لجنة التحقيق الملكية قد اعترفت في تقريرها بأن جميع القوانين التي صدرت بخصوص حماية المزارعين العرب قد عجزت عن تحقيق الأغراض التي سنت من أجلها، وهي حماية المزارعين العرب وصغار الملاك، وظهر انها غير قابلة للتطبيق بالفعل.

وفي الوقت الذي لم تطبق الحكومة البريطانية فيه أى قانون لصالح المزارعين العرب أو حمايتهم فإنها لم تتوان عن فرض ضرائب أثقلت كاهل الفلاحين إلى حد كبير. وقد استبدلت بضريبة العشر على الأراضي والبيوت وضريبة الاعشار على الأملاك الواقعة في المدن ضريبة واحدة اسمتها ضريبة الأملاك في المدن لعام ١٩٢٨، وكانت في البداية تبلغ ١٢% من قيمة الإيجار ثم خفضت إلى ٩% نتيجة لاحتجاجات الأهالي واعتراضاتهم، ثم رفعت إلى ١٥% في ابريل ١٩٣٢[٦]. وقد زاد الامر سوءاً بالنسبة للفلاحين العرب إقبال الملاك الغائبين على بيع أراضيهم في فلسطين لليهود منذ بداية العشرينات. وقد أوضح تقرير سمبسون أن المستعمرات الصهيونية الجديدة كانت تخلق في إصرار طبقة عربية لا أرض لها.

وقد شغلت الصحافة العربية في فلسطين والمحافل السياسية الوطنية بهذه المسألة التي كانت بدايتها بيع خمس قرى تابعة لقضاء صفد يملكها آل سرسق وتبلغ مساحتها ٢٣٠ ألف دونم إلى اليهود. وقد تابعت المقطم هذا الموضوع ونقلت إلى القراء مدى الجزع الذى أصاب أهل القري الخمس عندمان بلغهم خبر البيع والاحتجاجات التي قدموها إلى المندوب السامي وإلى الصحف، علاوة على الاحتجاج الذى رفعته اللجنة التنفيذية العربية إلى الحكومة. وقد انفردت المقطم بسرد الحجج التي يستند إليها اهالي القرى العربية في ملكيتهم لهذه الأراضي فهم يقولون: (إن أراضي قراهم تحت تصرفهم منذ الفتح الاسلامي. ولم تزل كذلك إلى يومنا هذا. أما تسجيلها لبيت سرسق

فلسبب يرجع إلى أن أصحاب الأراضي كانوا يتعرضون لظلم من جانب الحكام وضامني الاعشار. فكان بعضهم يقصد إلى ذي جاه ويتفق معه على أن يسجلها باسمه وله من غلتها جزء معين على أن يدفع ظلم العشارين[٧]. كذلك يحتج هؤلاء الاهالي بأن مساحة الاراضي المسجلة لبيت سرسق هي دون ما بأيديهم من الأرض فكيف يسمح لسرسق أن يبيع الأرض كلها؟[٨]. ورغم احتجاجات الأهالي وجهود اللجنة التنفيذية المصرية فإن التسجيل قد تم في نوفمبر ١٩٢٤.

ولقد شغلت مأساة عرب الحوارث والوسائل اللا إنسانية التي استخدمت في إجلائهم عن أراضيهم اهتمام الصحف المصرية على اختلاف اتجاهاتها. فقد اشارت المقطم إلى أن الحكومة البريطانية قدرت مساحة تلك الاراضي بـ٣٠,٨٢٦ دونماً[٩] ومصادر اخرى قدرتها بأربعين الف دونم[١٠]. وكانت تلك الاراضي مسجلة باسم اسرة الثبان البيروتية وطرحت للمزاد العلني في ابريل ١٩٢٩[١١]، بأمر من محكمة مركزية نابلس وفاء لبعض الديون على اسرة الثبان، اشتراها الكبرن الكايمت وسجلت باسمه في ٢٧ مايو ١٩٢٩. وقد طلبت السلطة الانتدابية من عرب وادي الحوارث ان ينتقلوا من اراضيهم الى ما بين المستعمرات اليهودية لتشغيلهم في تعبيد الطرق. واشترطوا لذلك عدم تقويض خيامهم وان تبقي عائلاتهم في تلك الخيام في اراضي الوادي. ولكن السلطة ابت إلآ أن ينقلوا خيامهم وعائلاتهم الى حيث يشتغلون. ورأى العرب في ذلك حيلة لإجلائهم عن الاراض فرفضوا، ولذلك أعلمتهم السلطة بأنها قطعت عنهم إعانة الحبوب التي كانت تقدمها إليهم فلم يكترثوا وفضلوا الجوع على مغادرة أراضيهم[١٢]. وقد هب أهل البلاد لإغاثة هؤلاء البائسين وقدموا لهم التبرعات واحاطوهم بعطف صادق. ولكن لم يكن هذا كافياً لحل مشكلتهم. وهنا طرحت عدة حلول لمشكلة عرب الحوارث. أولهما يقترح رجوعهم إلى اراضيهم السابقة وعدم الاعتراف بالأمر الواقع، وثانيها خاص بقبولهم الاراضي التي اعطتهم الحكومة اياها في تلك الشوك، وثالثها يقترح شراء ارض كافية في قضاء بني صعب لإسكانهم فيها حتى يظل العرب على مقربة من الساحل الذى اكتسحه اليهود[١٣]. وتقترح صحيفة البلاغ اختيار احد الحلين الاخيرين لاستحالة الحل الأول. وقد اصدرت اللجنة التنفيذية العربية بياناً جاء فيه:

(إن كارثة وادي الحوارث إنما هي كارثة فلسطين في أولى حلقاتها، فإن لم تقف البلاد امام هذه الخطوة الاولي من سياسة الاجلاء والإبادة فستكون الخطوات الاتية اشد اثراً وأبعد مفعولا)[١٤].

وقد أصدرت حكومة الانتداب بياناً تبرر فيه موقفها تجاه عرب الحوارث، وتسند تشردهم الى القانون على اساس ان رئيس محكمة مركزية نابلس قد اصدر في نوفمبر ١٩٢٩ أمراً بإخراج العرب الذين حصلوا على تعويضات نقدية من صندوق رأس المال القومي اليهودي. أما سكان الجزء الجنوبي فقد خولتهم الحكومة الرجوع إلى مساحة قدرها ٦٠٠٠ دونم لم يبت في ملكيتها بعد. ويشير بيان الحكومة إلى انها وفقت في الحصول على مزارع لائقة لاسكان القسم الشمالي من قبيلة الحوارث في قضاء بيسان، وهؤلاء تنتهي مدة تواجدهم في وادي الحوارث في ٣١ أغسطس ١٩٣٠. وأيضاً لسكان القسم الجنوب الذين رفضت المحكمة العليا دعوى ملكيتهم لـ ٦٠٠٠ دونم. وقد منحت القبيلة مدة اسبوعين للإجابة على هذا العرض الذى تقدمت به الحكومة. وقد أوضحت عدم رغبتها في قبوله[١٥].

وتعلق البلاغ على بيان الحكومة قائلة: (إننا نرى من هذا البيان ان الحكومة اغفلت وصف اخراج هؤلاء العرب بالقوة المسلحة الانجليزية تعاونها القوة اليهودية. الامر الذي لم يغفل عنه عرب الحوارث فأعدوا رداً طويلاً على بيان الحكومة سينشرونه في مشارق الأرض ومغاربها لكي يطلعوا العالم على حقيقة المأساة التي تمت وعلى حقيقة المؤامرة التي تقوم بها الحكومة مع اليهود)[١٦].

وقد جعلت الحركة الوطنية الفلسطينية في رأس مطالبها وقف بيع الأراضي وانتقالها إلى الصهيونيين[١٧]. كما جعلت الحركة الصهيونية في مطالبها السماح بانتقال الاراضي وتسهيل عملية انتقالها[١٨].

ورغم ان مشكلة الاراضي كانت من الاسباب الاساسية لانتفاضات ١٩٣٣، ١٩٣٥، وثورة ١٩٣٦. إذ أن العرب كانوا ينظرون بعين القلق والارتياب الى الاراضي الواسعة التي انتقلت الى ايدي اليهود، كما كانوا يخشون أن تتسرب أراض

اخري إلى أيدى هؤلاء بسبب ارتفاع الأسعار وضعف بعض مواطنيهم[١٩]. رغم كل ذلك فإن أساليب الحركة الوطنية الفلسطينية لمقاومة بيع الأراضي لم تخرج عن الاحتجاجات والنداءات والعرائض وذلك في غير فترات الانتفاضات. ولذلك تزخر الصحف المصرية بكثير من النداءات التي كانت توجهها الهيئات والأفراد لحث الشعوب العربية على درء الخطر الذى تتعرض له اراضي فلسطين وشعبها العربي[٢٠].

وقد كانت الفتاوي إحدى الأساليب التي لجأت إليها الحركة الوطنية الفلسطينية لمحاربة بيع الأراضي. فضلاً عن الوعاظ والمرشدين الذين كان مفتى فلسطين يقوم بإيفادهم الى القدس كي يعظوا الفلاحين للاحتفاظ بأراضيهم وعدم الاستجابة لإغراءات السماسرة[٢١]. وكثيراً ما كان يعمد مفتي فلسطين إلى عقد اجتماعات تضم علماء ووجهاء ومخاتير القرى، حيث يلقي بعض الخطب التي ينوه فيها بالأخطار التي تتهدد البلاد من جراء بيوع الأراضي. وكان في معظم خطبه يستشهد بأحاديث دينية كانت تسفر في بعض الأحيان عن إبطال بعض الاتفاقات لبيع الأراضي وتحد من الدور الذي كان يلعبه المخاتير كسماسرة ووسطاء[٢٢]. ولكن مما يؤسف له أن هذا الأثر كان محدوداً بسبب كونه ناتجاً عن مجهودات فردية جاءت متأخرة بعد أن كان اليهود قد اشتروا واستولوا على اخصب المناطق في فلسطين.

هوامش (قضية الأراضى)

١. كامل خله مصدر سابق ٤٨٧.

٢. تقرير اللجنة الملكية لفلسطين – مصدر سابق ص ٢٩٠.

٣. السياسة الاسبوعية ١٩٢٨/٢/٢٥.

٤. اللجنة الملكية ص ٢٩٦.

٥. المصدر السابق ص ٢٥٩.

٦. عبد الوهاب الكيالي: وثائق المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية ١٩١٨ – ١٩٣٩ مؤسسة الدراسات الفلسطينية – بيروت ١٩٦٨ص ٤٥٧.

٧. المقطم ١٩٢٤/٩/١٦.

٨. المصدر السابق.

٩. المقطم ١٩٣٣/٩/٨.

١٠. اميل الغوري: ١٥ ايار ١٩٤٨- دار النشر العربية – بيروت ١٩٥٩- ٥٨-٦٦.

١١. الاهرام ١٩٣٠/١/١٢.

١٢. الاهرام ١٩٣٢/٦/١٠.

١٣. البلاغ ١٩٣٣/٧/٤.

١٤. البلاغ ١٩٣٣/٩/٩.

١٥. المصدر السابق.

١٦. البلاغ ١٩٣٣/٩/٩.

١٧. البلاغ ١٩٣٣/٧/٢٦.

١٨. الاهرام ١٩٣٣/٥/١ – ٢٠ مليون جنيه لشراء فلسطين.

١٩. الاهرام ١٩٣٣/٥/١.

٢٠. المصدر السابق.

٢١. عبد الوهاب الكيالي: وثائق – مصدر سابق (يندر أن تخلو من هذا المطلب مذكرة أو احتجاج).

٢٢. اللجنة الملكية لفلسطين: مصدر سابق. مطالب العرب واليهود وظلاماتهم ص ١٨٨، ٤٧٦.